

## الجماع ولحظة العودة الى الرحم

2010/05/28

تكلمت في مقال سابق ”متلازمة الجنس والموت“ عن خوف الذكر من فقدان عضوه الذكري، الا انني في هذا المقال سأبحث عن خلفية هذه العقدة عند الذكر.

اعتبر اوتو رانك أن عقدة (فقدان العضو) تعود إلى لحظات الولادة، أي لحظة انفصال الأم عن الطفل من ناحية (انتوجينيز)، والانتوجينيز عبارة عن دراسة الكائن الحي منذ بداية نشاته في الرحم، لبني فريينكي فرضيته على ان مبدأ الماجمعة على صعيد (انتوجينيز)، عبارة عن محاولة لتحرير الضغوطات المؤلمة الناتجة عن لحظة الولادة، مع اكتفاء الاثارة والعودة إلى المشاعر الدافئة ما قبل الولادة.

نجد أن مفهوم (الوبلاستيك ادابتيشن) عند فرويد، فريينكي و الكسندر فرانز، يقوم على مبدأ تاقلم النظام العضوي عند تعرضه لكم من الضغوطات، ويتم ذلك عبر طريقتين:

- محاولة تاقلم النظام العضوي مع المحيط من خلال تحولات داخلية للنظام نفسه وتدعى هذه المحاولة بـ(اوتو بلاستيك ادابتيشن).

- او بمحاورة النظام العضوي بإحداث تغييرات على المحيط الخارجي، كبناء العش عند الحيوانات، ومحاولات الإنسان المكثفة في تغيير البيئة الخارجية لصالحه، وتدعى هنا بـ(الوبلاستيك ادابتيشن).

نعود إلى الرغبة في الرجوع إلى رحم الأم، والتي تتجلى في عملية الجماع عند الكائنات الحية، فنرى على سبيل المثال ان التزاوج عند العنكبوت يمكنه أن يستغرق في بعض الأحيان مدة السبع ساعات، وعند بعض الطفليات يمكن الذكر داخل الأنثى، لتكون حالة جماع دائمة.

بعد دراسات عديدة لحالات الجماع عند الكائنات الحية، توصل فريينكي إلى أن حالة القذف عند الذكر والمترافقه مع الانفصال عن الجسد الأنثوي، عبارة عن تكرار لعملية الولادة من جديد، التي كانت المؤثر الأول لخلق الإنسان جنتة المفقودة، فالجلة ما قبل طرد الإنسان منها عبارة عن مköوث حالة الجنين في رحم امه، وعملية الطرد منها تعكس عملية الولادة.

شرح فريينكي عملية تجمع الضغوطات الموجودة في أعضائنا ليتم تفريغها في الجهاز التناسلي، ومن ثم تعميم النشوء على كافة اعضائنا الجسدية بهدف اكتفائه. اي وضع النظام العضوي كاملاً تحت تصرف الأعضاء التناسلية، ليتمثل ظمامنا العضوي مع العضو المنفذ، فنجد ان ”الانا“ يتطابق أثناء الجماع مع العضو التناسلي.

من هنا نجد معنى الروح عند جيزا روهم كمرادف للنطف، فيما ان ”الانا“ يضع نفسه ليتطابق مع العضو الذكري و الافرازات الجنسية كما فسرها فريينكي، وبما ان الفرق مع العضو الجنسي الآخر يذكرنا بلحظة الولادة والخوف من هذه اللحظة والتي ترمز عند الذكر إلى انفصال عضوه عن جسده، الآتية من لحظة الولادة وانفصال الجنين عن امه، فالذكر يستطيع تخيل العودة إلى الرحم من خلال العضو الأنثوي، بينما لا تستطيع الأنثى تخيل العودة إلى رحم الأم، فتقوم بتعويضه لذلة العودة من خلال رغبتها بامتلاك العضو الذكري لتحقيق تلك العودة المستحبة، لهذا ربما نجد ارتباط مفهوم النطف مع الروح لدى الذكر و لا نجد له لدى الأنثى.

إلا ان المختصين لم يتوقفوا عند دراسة العوامل الأولى على صعيد (الانتوجينيز) وما سببته من قلق نفسي، والذي دفع الإنسان إلى الابحار في خيالات واسعة عبر الفن والدين والأساطير، فكلها تعكس الرغبة البادئية للرجوع إلى حالة ما قبل الولادة، لهذا نجد التقارب ما بين الأساطير بالرغم من المسافة الشاسعة الفاصلة بين الشعوب.

اما على صعيد (الفيلوجينيز)، وهو علم الأنساب لجميع الأنواع، لا تتوقف الابحاث والدراسات عند نقطة الولادة، بل تعمق في الكوارث البيئية لدرس حالة الكائنات الحية وما تعرّضت له من كوارث، وخصوصاً عند كارثة انحسار المياه، لتنقل بعض الحيوانات المائية إلى البر كي تتناقم مع المحيط الخارجي، حسب نظرية ”لامارك“.

اعتبر ”فريينكي“ ان التاقلم الناتج عنه حالة الجماع والتکاثر في رحم الأنثى، ليس الا استبدال المحيط المائي بمحيط يشبه إلى حد ما الغلاف المائي، بل اعتبر ايضاً ان العراق بين الجنسين لاختراق الآخر، ربما يكون سبباً للخصائص الذكورية المرعية بعد نجاح اختراق الذكر للأنثى.

يثبت لنا يوماً بعد يوم علم المتحجرات التحولات والتغيرات التي أصابت الأنظمة الحية، كما يؤكد لنا علم البيولوجيا الكثير من النقاط التي وضعت كفرضيات في علم النفس. أما المشككين بهذه الفرضيات والنظريات العلمية (بحجة وجود فرضيات مناقضة)، لا يجهدون أنفسهم بالبحث عن نقاط الاختلاف، فالعلوم جميعها متواقة ضمن إطار عام. فمثلاً من يشكك في نظرية التاقلم مع البيئة للامارك أو نظرية الاصطدام الطبيعي لداروين، عليه ان يلقي نظرة على فرضيه عالم النبات الايرلندي هيغرو دو فريز الذي اعتبر ان التغيرات التي ظهرت على الأنواع الحيوانية هي تغيرات فجائية، فالتطور ليس عملية تدريجية بل هي تغيرات تتم عبر قفزات غير مستمرة ومفاجئة، ومنها ينشأ تغيير في الأنواع ويتم بعدها اصطفاء أفضلها الملائم للمحيط الخارجي بعد فترات طويلة.

استطيع هنا مقاربة ما استنتجها هيغرو دو فريز مع فرضية فريينكي لجعل حالات الكوارث وراء التغيرات الطارئة على الأنواع، حيث اعتبر ان الكوارث الفيلوجينيتيك قد تراكمت لتبقى اثارها في بلازما الخلية الحية كجميع التجارب المؤلمة، المؤرقة للفرد والمجتمع في العضو التناسلي والذي يقوم بتفریغها من خلال الجماع.